مذبحة «الاحد الأسود»

بدت مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، قبيل وقوع مذبحة يوم الأحد، غارقة في «تعايش» ظاهري مع الاحتلال، مع حجم من الصدام ورشق الحجارة اليومي ذي الايقاع الواحد المتكرر؛ وبدت أوساط الاحتلال الاسرائيلي كمن حققت قدراً من «التعايش» هذا، سمح لها بالتخفيف من وطأة أزماتها الداخلية، الناشئة عن استمرار احتلالها للضفة والقطاع، واستمرار تزايد عمليات قتل الفلسطينيين، للابقاء على ما تمّ تحقيقه خلال السنة الاخيرة. غير ان مذبحة يوم الأحد، التي قتل خلالها عدد من العمّال الفلسطينيين، وجرح عدد آخر، على يد مسلّح كان جندياً في الجيش الاسرائيلي حتى وقت قريب، فجّر الاوضاع في المنطقتين، بصورة غاضبة، ألغت جميع مظاهر «التعايش» الذي ركنت اليه السلطات الاسرائيلية. وأعاد خروج الفلسطينيين الجماعي من بيوتهم الى الشوارع، في أعقاب انتشار خبر المذبحة، صورة الانتفاضة الفلسطينية الى أيامها الأولى، وعكس حالة التوتّر القصوى بين مجموع المواطنين الفلسطينيين ومجمل مؤسسات الاحتلال الاسرائيلية وتعبيراتها الادارية، والعسكرية، التي شهدت المناطق المحتلة مثيلها في خلال الشهور الاولى من عمر الانتفاضة، وبلغت ذروتها في نيسان (ابريل) ١٩٨٨، الذي كان الأعنف، والاكثر مأساوية، في الوقت عينه، من بين الشهور الأولى للانتفاضة.

قاتل ومذبحة

بتاريخ ١٩ أيار (مايو) ١٩٩٠، أعلم الاسرائيلي، آمي بوبر، البالغ من العمر واحداً وعشرين عاماً، صديقته الاسرائيلية بأنه خطط للقيام بعمل من شأنه ان يبعده منها لفترة زمنية طويلة. وفي الصباح التالي، الذي صادف يوم الاحد، بتاريخ ٢٠ أيار (مايو)، ارتدى بوبر ملابس أخيه العسكرية، وأخذ سلاحه، وهو بندقية آلية من نوع ام ـ ١٦، وتزوّد بثلاثة مخازن ذخيرة، وانطلق نحو منطقة شديدة الازدحام في مستوطنة ريشون لتسيون، القريبة من تل ـ أبيب، وقصد موقعاً يتجمّع فيه العمّال الفلسطينيون القادمون من قطاع غزة، على أمل الحصول على عمل ليومهم (داود كتاب، «مذبحة الأحد تشعل الانتفاضة»، **ميدل ايست انترناشونال**، العدد ٣٧٦، ٢٥/٥/١٩٩٠). وذكر شاهد عيان انه شاهد بوبر يدقق في هويات العمّال «واحدة واحدة، ليرى ان كان [بينهم] يهود. ثمّ وضعها جانباً، وطلب من العمّال الجلوس» (**الحياة**، لندن، ٢١/٥/١٩٩٠). ثمّ ما لبث ان اطلق الاسرائيلي النار على العمّال، وعددهم مئة عامل، فقتل منهم ثمانية وجرح عشرة آخرين، ولاذ بالفرار (**المصدر نفسه**). والشهداء هم: عبد محمد سالم، من غزة؛ وخالد حمدونة، من مخيم جباليا؛ وزياد موسى، من مخيم رفح؛ وعمر أبو خوجة، من مخيم رفح؛ وزياد زيدان، من مخيم خان يونس؛ ويوسف أبو دقّة، من قرية بني سهيلة؛ وسليمان ابو عنزة، من قرية عبسان؛ وعامر أحمد دهليز، من بني سهيلة (**الشرق الاوسط**، لندن، ٢١/٥/١٩٩٠). وأكد شهود ان القاتل أفرغ ثلاثة مخازن ذخيرة من بندقيته؛ وانه تعمّد اطلاق النار على رؤوس العمّال وصدورهم (**المصدر نفسه**). وذكر عمّال فلسطينيون نجوا من المذبحة ان سيارات اسرائيلية عدة مرّت بمكان الحادث بدون ان تتوقف لتقديم المساعدة. أمّا القاتل، بوبر، فقد لجأ الى منزل صديقته، التي أبلغت الأمر الى الشرطة، حيث اعتقلته، ووجّهت اليه، في اليوم التالي، تهمة قتل سبعة فلسطينيين (قتل سبعة عمّال، فوراً، في الحادث، وتوفي آخر في وقت لاحق)؛ وكذلك الشروع في قتل تسعة آخرين. كما تقرر اخضاع القاتل لفحوصات طبية تستهدف معرفة حالته النفسية (كتّاب، **مصدر سبق ذكره**). وقد احتل هذا الجانب، في وضع المتهم، حيّزاً كبيراً بين التعليقات والتفسيرات الاولية والمباشرة